Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 26:3 (1991

بسم الله الرحمن الرحيم

البسملة وسبب سقوطها من أول سورة براءة

د . عيادة بن أيوب الكبيسى

الحمد لله ذى الفضل الكبير والعطاء الجسيم، من خصّنا بمزايا الانعام والتكريم، وفضلنا على سائر الأمم ببعثة هذا النبىّ الرؤوف الرحيم، الذى آتاه سبعا من المثانى والقرآن العظيم، وأعطاه كلمة مباركة لم يعط لغيره من النبيين ـ عليه وعليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم ـ ، الا ما كان من سليمان عليه السلام المخصوص بالتفهيم، وجعله مفتاح كلامه المبين، فأعظم به من كلمة جليلة كريمة ، وكيف لا ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم ؟

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الحبيب الأمين، الهادى الى صراط مستقيم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، الفائزين برضوان الله تعالى والنعيم المقيم، والتابعين لهم على النهج القويم، عدد انفاس الخلائق وذرات الثرى وهبّات النسيم .

وبعد :

فهذه نظرات سريعة فى هذه الكلمة المباركة الكريمة ,,بسم الله

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الرحمن الرحيم،، ، أحببت أن تكون مفتاحا بين يدى قارئ كتاب الله تعالى ، اذ انها أول مايطالعه بصره، ويقع عليه نظره، عندما يفتح أول صفحة من الكتاب العزيز .

وسأجعل الكلام فى هذا المبحث على قسمين :

الأول : حول البسملة بوجه عام من حيث تحليل جزئياتها والكلام على مشروعية البدءبها ، وهل أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة أولا؟ وحكم الجهر والاسرار بها ، وذلك بالرجوع الى أقوال العلماء ، وبيان الراجح منها .

والثانى : فى بيان سبب سقوطها من أول سورة براءة من بين سور القرآن الكريم ، وذلك ـ أيضا ـ بذكر أقوال العلماء مع النقد والترجيح . ثم ختمته بذكر فائدة فى حكم التسمية للقارئ فى أوّل سورة التوبة وفى أثنائها .

فأقول ـ سائلا الله تعالى الاخلاص والتوفيق :

البسملة : لفظة تعنى : ,,بسم الله الرحمن الرحيم،، ، كالحمدلة تعنى : الحمد لله، والسبحلة تعنى : سبحان الله ، والهيللة تعنى : لا اله الاّ الله ، والحوقلة تعنى : لا حول ولا قوة الاّ بالله (١) . ويقال لمن قال : بسم الله : مبسمل ، وهى لغة مولدة ـ كما يقول الامام الماوردى ـ ، وقد جاءت فى الشعر ، قال عمر بن أبى ربيعة :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتهـا
فياحبّـذا ذاك الحديث المُبَسْمل (٢).

وقال الامام القرطبى ـ رحمه الله ـ :

المشهور عن أهل اللغة : بسمـل ، قال يعقـوب بن السكّيـت والمطرّز والثعالبى وغيرهم من أهل اللغة: بسمل الرجل اذا قال: بسم الله،

يقال : قد أكثرت من البسملة ؛ أى من قول : بسم الله ، ومثل : حَوْقَلَ الرجل ، اذا قال : لاحول ولا قوة الاّ بالله ، وهلّل اذا قال : لا اله الاّ الله ، وسَبْحَلَ اذا قال : سبحان الله ، وحمدل اذا قال : الحمد لله ، وحَيْصَلَ اذا قال : حىّ على الصلاة، وَجَعْفَلَ اذا قال: جعلت فداك ، وطَبْقَلَ اذا قال : أطال الله بقاءك ، ودَمْعَزَ اذا قال : آدام الله عزّك ، وحَيْفَلَ اذا قال : حىّ على الفلاح ، ولم يذكر المطرّز : الحيصلة اذا قال : حىّ على الصلاة ، وجعفل اذا قال : جعلت فداك ، وطبقل ، اذا قال : أطال الله بقاك ، ودمعز ، اذا قال : آدام الله عزك (٣) .

والبسملة : كلمة مباركة من كلمات الله الكريمات ، اشتملت على ثلاثة أسماء من اسماءه الحسنىٰ ، وهى : الله والرحمن والرحيم ، اثنان منها لايسمّىٰ بهما غيره وهما : الله والرحمن . والباقى من مفردات هذه الكلمة المباركة : الباء واسم . وسنتناول هذه المفردات بشىء من التأمّل والتفصيل ، وبالله نستعين :

البـــاء :

والباء فى قوله تعالى : ,,بسم الله الرحمن الرحيم،، للالصاق، وهى حرف جر، وما بعدها مجرور بها، والمتعلق به محذوف، فعل أو اسم ، ويجوز تقديمه وتأخيره ، يدّل عليه ما بعده ، فالقارئ يقدّر : أقرأ أوقراءتى، أو أتلو أو تلاوتى، والآكل يقدر : آكل آو أكلى، والذابح يقدر: أذبح أو ذبحى، وهكذا فى سائر الأقوال والأفعال ، فعلى تقدير الاسم يكون المحذوف مبتدأ والجار والمجرور خبره والى هذا ذهب البصريون ـ، وعلى تقدير الفعل يكون الجار والمجرور فى موضع نصب بالمحذوف وهو الفعل ، والى هذا ذهب الكوفيون (٤) . ويرى العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ أنّ كلا من التقديم والتأخير قد ورد فى الكتاب العزيز ، وذلك كقوله تعالى : ,,باسم الله مجريها ومرسها(٥)، وقوله

سبحانه : ,,اقرأ باسم ربك،، (٦) ، غير أنّ بعضهم رجح كون المحذوف متأخرا ، وذلك لانّ الأهمّ من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به، وكان عباد الأوثان يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون : باسم اللآت وباسم العزىٰ ، فوجب أن يقصد الموحّد معنى اختصاص اسم الله عزوجل بالابتداء ، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل (٧) .

ومن هؤلاء العلماء الامام فخر الدين الرازى ـ رحمه الله تعالى ـ، وذكر لذلك وجوها ، حيث قال :

التقـديم عندى أولىٰ : أى تقديم اسم الله ، وتأخير المحذوف ـ، ويدل عليه وجوه ، ـ منها :

الأول : أنه تعالى قديم واجب الوجود لذاته ، ليكون وجوده سابقا على وجود غيره، والسابق بالذات يستحقّ السبق فى الذكر .

الثانى : قال تعالىٰ : ,,هو الأول والآخر،، (٨) ، وقال : ,,لله الأمر من قبل ومن بعد،، (٩). فلا ينبغى أن يتقدم على اسمه شىء ـ .

الثالث : أن التقديم فى الذكر أدخل فى التعظيمم .

الرابع : أنه قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ,,اياك نعبد،، (١٠) فهٰهنا الفعل متأخر عن الأسم ، فوجب أن يكون قوله : ,,بسم الله،، كذلك ، فيكون التقدير : باسم الله أبتدىء (١١) .

ويستحسن أن تكتب هذه الباء طويلة، فترسم هكذا : ,,بسم الله ،،، وكذلك جعلوها فى رسم المصحف ، ليكون افتتاح كلام الله تعالىٰ بحرف معظم، ولهذا السبب كان عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يقول لكتّابه :

طولوا الباء ، وأظهروا السين، وفرّجوا بينهمـا ، ودوروا الميـم، تعظيما لكتاب الله ـ عزوجل ـ (١٢) .

ويـــرى بعضهـم :

أنه لما أسقطت الألف من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها،

ردّوا طول الألف على الباء ليكون دالا على سقوط الألف ، بدليل أنه لما كتبت الألف فى ,,اقرأ بأسم ربک،، (١٣) ردت الباء الى صيغتها (١٤).

والاســـم :

هو اللفظ الدالّ على ذات الشيء المسمّىٰ به (١٥) .

ويختلف العلماء ، هل هو عين المسمّىٰ أو غيره، وليس من وراء ذلک كبير فائدة، فلا داعى للخوض فيه ... ومن أراد الوقوف علـى تفصيل القول فى ذلک ، فليرجع الى التفسير الكبير . وقد رجح الامام الرازى ـ رحمه الله تعالى ـ أن الاسم غير المسمّىٰ وغير التسمية ، واستدل على ذلک بعشرة أدلة ، وأورد أدلة من قال : انّ الاسم هو المسمّىٰ وأجاب عليها .

علما بأنه قد ذكر مقدمة قبل الخوض فى ذكر الدلائل ، قال فى نهايتها : فثبت أنّ الخوض فى هذا البحث على جميـع التقـديرات يجرى مجرى العبث (١٦) . لذا فقد أضربنـا عن الخـوض فى هذه الجزئية .

وأما عن اشتقاقه : فللنحاة فيه مذهبان :

مذهب أهل البصـرة : على أنه مشتق من السمّو والرفعة والظهور، لانّ التسمية تنويه بالمسمّىٰ واشادة بذكره (١٧) ، واسم الشيء ماعلاه حتى ظهر ذلک الشيء به (١٨) .

ومذهب أهل الكوفة : علـى أنـه مشتق من السمة ، وهى العلامة، فـالاسـم كالعـلامة المعرفة للمسمّىٰ ، وقالوا : أصله من وسم يسم ، ثمّ حذفت منه الواو ، ثمّ زيد فيه ألف الوصل عوضا عن المحذوف كالعدة والصفة (١٩) .

وذكر أبو البقاء العكبرى أنّ لغاتـه خمس : سم بكسـر السيـن وضمها، واسم بكسر الهمزة وضمها، وسمى مثل ضحى ، قال : والأصل

فى اسم سمو ، فالمحذوف منه لامه، يدل على ذلک قولهم فى جمعه : أسماء وأسامى، وفى تصغيره : سمى ، وبنوا منه فعيلا فقالوا : فلان سميک أى اسمه كإسمک، والفعل منه : سميت وأسميت ، فقد رأيت كيف رجع المحذوف الى آخره (٢٠) .

ولفظ الجلالة الله :

اسم جامع لصفات الكمال ونعوت الجمال، وهو علم خاص للرب تبارک وتعالىٰ ، الإله المعبود بحق ، وتفرّد به جلّ وعلا، لم يشركه فيه أحد، ولم يطلق على غيره أصلا (٢١)، ولذلک لم يُثَنّ ولم يجمع، وهو أحد تأويلى قوله تعالى : ,,هل تعلم له سميّا،، (٢٢) أى : من تسمّىٰ باسمه الذى هو ,,الله،، فهو اسم للموجودَ الحق، المنفرد بالوجود الحقيقى ، لا اله الاّ هو سبحانه (٢٣) .

والصحيح المختار من أقوال العلماء أنه اسم جامد مرتجل لا أشتقاق له ، وممّن ذهب الى هذا من النحاة وأهل اللغة : الخليل وسيبويه والزجاج، ومن الفقهاء والأصوليين : الامام الشافعى والغزالى والخطابى وامام الحرمين ـ رحمهم الله تعالى جميعا ـ وقيل : هو مشتق من أله يأله الاها والاهة، أى : عبد عبادة ، ويدلّ على هذا قراءة ابن عباس رضى الله عنهما ـ : ,,ويذرک والاهتک،، (٢٥) أى : عبادتک (٢٦).

فهو مصدر يمعنى مألوه أى معبود ، كقوله تعالى : ,,هذا خلق الله،، (٢٧) أى : مخلوقه (٢٨) . والمعنى على هذا : أنه المستحقّ للعبادة دون غيره (٢٩) .

وقيل : انه مشتق من الوله ، وهو الفزع ، لان الخلق يولهون اليه ، أى : يفزعون اليه فى الشدائد ، ويلجؤون اليه فى الحوائج ، كما يوله كلّ طفل الى أمّه .

وقيل : من الوله ، وهو ذهاب العقل لفقد من يعزّ عليک (٣٠) ، يقال :

رجل واله وامرأة والهة ووالهه أى متحيّر ومتحيّرة، وماء مُوَلّه ، أى : أرسل فى الصحارىٰ ، فالله سبحانه تتحيّر الألباب وتذهب فى حقائق صفاته والفكر فى معرفته .

وقيل : انه مشتق من الارتفاع ، فكانت العرب تقول لكل شىء مرتفع : لاهاً ، فكانوا يقولون اذا طلعت الشمس : لاهت ، والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات ومناسبة المحدثات ، لانّ الواجب لذاته ليس الا هو، والكامل لذاته ليس الا هو، و الأحد الحق فى هويته ليس الا هو، والموجد لكل ما سواه ليس الا هو (٣١) .

وقيل : انه مشتق من ألهت الى فلان أى : سكنت اليه، فالعقول لاتسكن الا الى ذكره والأرواح لا تعرج الا بمعرفته ، لانه الكامل على الاطلاق دون غيره ، قال تعالى : ,,**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**،، (٣٢) ، وقيل : غير ذلك (٣٣) .

وتفخّم لامه اذا كان قبلها فتحة أو ضمّة، وترقق اذا كان قبلها كسرة، وهذا هو قول الجمهور ، ومنهم من يرققها بكل حال ، ومنهم من يفخّم بكل حال (٣٤) .

وهذا الاسم ,,الله ،، هو أكبر أسمائه ـ تعالى ـ وأجمعها وأشهرها لاضافتها اليه ، ونسبتها له ، فيقال : الرؤوف والكريم من أسماء الله تعالى ، ولايقال : من أسماء الرؤوف أو الكريم : الله ، وقد قال بعض العلماء : انه اسم الله الأعظم ، لأنه يدلّ على الذات ، وباقى الأسماء تدل على الصفات ، ولذا فانه يوصف بها كما قال تعالى : ,,**هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنىٰ يسبّح له مافى السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم**،،(٣٥) .

ومن خصائص هـذا الاسم الكريم :

أنک اذا حذفت منه شيئا بقى الباقى يدلّ عليه ، فاذا حذفت الألف بقى: لله ، واذا حذفت اللآم وأثبت الألف بقى : اله ، واذا حذفتهما بقى : له، واذا حذفت الألف واللآمين معا بقى ، هو ، والواو عوض عن الضمة .

فهذه الخاصية موجودة فى لفظ : ,, الله ،، غير موجودة فى سائر الاسماء، وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلـت ـ أيضـا ـ بحسب المعنى ، فانک اذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة ، وما وصفته بالقهر ، واذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم ، وما وصفته بالقدرة ، و أمّا اذا قلت : يا الله ، فقد وصفته بجميع الصفات،لانّ الإله لايكـون الٰها الا اذا كان موصوفا بجميـع هذه الصفـات ، فثبت أن قـولنـا : الله ، قـد حصلت لـه هـذه الخاصيـة التـى لم تحصـل لسـائر الاسمـاء (٣٦) .

ومن خصائص هذا الاسم الكريم ـ أيضا ـ ما ذكره الامام فخر الدين الرازى ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال :

انّ كلمة الشهادة وهى الكلمة التى بسببها ينتقل الكافر من الكفر الى الاسلام لم يحصل فيها الا هذا الاسم ، فلو أنّ الكافر قال : أشهد أن لا اله الا الرحمن ، أو الا الرحيم ، أو الا الملک ، أو الا القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل فى الاسلام ، أما اذا قال : أشهد أن لا اله الا الله فانه يخرج من الكفر ويدخل فى الاسلام ، وذلک يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصـية الشـريفة ، والله الهـادى الـى الصواب (٣٧) .

والـرحمٰن الـرحيم : اسمان من أسمائه تعالى : بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب، والعليم من علم (٣٨) .

واختلف العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ فيهما ، هل هما بمعنى واحد

أو بمعنيين ؟ فذهب بعضهم الى انهما بمعنى ، ونسب هذا الى قطرب، ومال اليه الزجاج ، قال أبو عبيدة : وتقديرهما : ندمان ونديم (٣٩) . ومعناهما ذو الرحمة، وانما جمع بينهما للتوكيد، وهو كثير فى كلام العرب ، وفوائده عظيمة ـ كما لايخفى ـ ، والفائدة هنا ـ كما قال محمد ابن يزيد ـ : انه تفضّل بعد تفضّل، وانعام بعد انعام ، وتقوية لمطامع الراغبين ، ووعد لايخيب آمله (٤٠) .

وقد اعترض على هذا القول بأنه ضعيف، وذلک :

أنّ التوكيد خلاف الأصل ، والتأسيس خير من التوكيد، والمقام هنا بعيد عن مقتضى التوكيد (٤١) .

وممّن أنكر هذا القول الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ، واعتبره غفلة من صاحبه ـ سأل الله تعالى أن يسامحه ـ، وذكر أنه : لأيجيز لمسلم أبدا أن يقول فى نفسه أو بلسانه : انّ فى القرآن كلمة جاءت لتأكيد غيرها، ولا معنى لها فى نفسها ، بل ليس فى القرآن حرف جاء لغير معنى مقصود (٤٢) .

وذهب آخرون الى التفريق بينهما ، فقالوا :

انّ فى الرحمٰن من المبالغة ماليس فى الرحيم ، لأنّ لفظه يزيد عليه ، وزيادة المبنىٰ تدلّ على زيادة المعنىٰ ، كما فى قطع وقطّع (٤٣)، وقال ابن عطية : وهى ـ أى فعلان ـ أبلغ من فعيل ، وفعيل أبلغ من فاعل ، لانّ راحما يقال لمن رحم ولو مرّة واحدة ، ورحيما يقال لمن كثر منه ذلک ، والرحمٰن : النهاية فى الرحمة (٤٤) .

وقالوا : للرحمٰن معنى العموم، وللرحيم معنى الخصوص، فالرحمٰن بمعنى الرازق فى الدنيا ، وهو على العموم لكافة الخلق، مؤمنهم وكافرهم، والرحيم بمعنى المعافى فى الآخرة ، والعفو فى الآخرة للمؤمنين على الخصوص، ولذلک قيل فى الدعاء : يا رحمٰن الدنيا

ورحيم الآخرة ، فالرحمٰن من يصل رحمته الى الخلق على العموم ، والرحيم من يصل رحمته اليهم على الخصوص، ولهذا صحّ اطلاق لفظ الرحيم على غير الله تعالى، ومنه قوله سبحانه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ,,بالمؤمنين رؤوف رحيم،، (٤٥)، ولم يصحّ اطلاق لفظ الرحمٰن على غيره تعالى ـ كما سيأتى ـ ، فالرحمٰن خاصّ الاسم عامّ الفعل ، والرحيم عام الاسم خاصّ الفعل (٤٦) .

وقال أبو على الفارسى : الرحمٰن اسم عام فى جميع أنواع الرحمة يختصّ به الله ، والرحيم انما هو فى جهة المؤمنين ، كما قال تعالى : ,,وكان بالمؤمنين رحيما،، (٤٧)، وقال عبدالملك بن أبى سليمان العرزمى: الرحمٰن بجميع خلقه فى الأمطار ونعم الحواس ، والنعم العامة، والرحيم بالمؤمنين فى الهداية لهم واللطف بهم (٤٨) .

وقال عبدالله بن المبارک : ,,الرحمن اذا سئل أعطى والرحيم اذا لم يسئل غضب (٤٩)، وقال غيره : الرحمن صفة تدلّ على اسباغ النعم والاحسان ، والرحيم : صفة تدلّ على منشأ هذه الرحمة، وهى صفة ثابتة دائمة ، و آتصاف الله تبارک وتعالى بهما يفيد أنّ الله تعالى يفيض الرحمة على عباده دائما بطريق الدوام والاستمرار (٥٠) .

وقد أوضح هذا المعنى الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ حيث قال:

انّ لفظ ,,رحمٰن،، وصف فعلىّ فيه معنى المبالغة ـ كفعّال ـ ، ويدلّ فى استعمال اللغة على الصفات العارضة ـ كعطشان وغرثان وغضبان ، وأمّا لفظ ,,رحيم ،، فانه يدلّ فى الاستعمال على المعانى الثابتة كالأخلاق والسجايا فى الناس ـ كعليم وحكيم وحليم وجميل ، والقرآن لايخرج عن الاسلوب العربى البليغ فى الحكاية عن صفات الله عزوجل التى تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين ، فلفظ ,,الرحمٰن،، يدلّ على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهى افاضة النعم

والاحسان ، ولفظ الرحيم يدلّ على منشأ هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة ، وبهذا المعنى لايستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ، ولايكون الثانى مؤكدا للأول ، فاذا سمع العربى وصف الله جلّ ثناؤه بـ ,, الرحمٰن ،، وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلا ، لايعتقد منه أنّ الرحمة من الصفات الواجبة له دائما، لانّ الفعل قد ينقطع إذا كان عارضا لم ينشأ عن صفة لازمة ثابتة، فعندما يسمع لفظ ,,الرحيم،، يكمل اعتقاده على الوجه الذى يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه (٥١) .

سبب ترتيب هذه الأسماء الثلاثة :

وقد جاءت هذه الأسماء المباركة على هذا الترتيب : ,, الله الرحمن الرحيم ،، موافقة لكلام العرب ، فانّ من شأنهم اذا أرادوا الخبر عن مخَبربه ـ كما يقول ابن جرير ـ أن يقدّموا اسمه ثمّ يتبعونه صفاته ونعوته ، وهذا هو الواجب فى الحكم : أن يكون الاسم مقدّما قبل نعته وصفته ، ليعلم السامع الخبر (٥٢) .

فان قيل : لم قدم الرحمن على الرحيم مع أنه أبلغ ، والقياس الترقى من الأدنى الى الأعلى ؟ كما يقال : فلان عالم ذو فتوى نحرير ، وشجاع باسل ، قيل : لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله تعالى (٥٣) ، فصار حقيقا بأن يكون قرينا للاسم الجليل الخاصّ به تعالى ، ولانّ ما يدّل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها ، وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة (٥٤) . وقيل : انّ معنى الرحيم ، أى : بالرحيم وصلتم الى الله والرحمٰن ، فالرحيم نعت محمّد ـ صلى الله عليه وسلمّ ـ وقد نعته الله تعالى بذلك فقال : ,,بالمؤمنين رؤوف رحيم ،، (٥٥) ذكر ذلك الامام القرطبى وقال : فكان المعنى أن يقول : ,, بسم الله الرحمن الرحيم ،، ،

أى و بمحمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصلتم الىّ ، أى بآتباعه وبما جاء به وصلتم الى ثوابى وكرامتى والنظر الى وجهى ـ والله أعلم (٥٦) .

واذا كانت أسماء الله تعالى ـ من حيث جواز التسمية بها أو عدمه ـ تنقسم الى قسمين ، فانّ هذه الأسماء الثلاثة جاءت متناولة لذلك .

فالله والرحمٰن : خاصّان به تعالى ، فهما من القسم الذى حرّم الله جلّ وعلا على عباده أن يتسمّوا به كالخالق والرازق ونحوهما . أما لفظ الجلالة : فقد تقدم الكلام فى تخصيصه تعالى بذلك (٥٧) ، وأما لفظ الرحمٰن : فمّما يدلّ على تخصيصه تعالى به قوله جلّ وعلا : ,,**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمٰن أيّامّا تدعو فله الأسماء الحسنىٰ**،،(٥٨) ، حيث عادل الاسم الذى لا يشركه فيه غيره ، وقال ـ أيضا ـ : ,,**واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يعبدون**،،(٥٩). فأخبر سبحانه أنّ الرحمٰن هو المستحق للعبادة جلّ و عزّ(٦٠).

وفى هذا يقول الامام الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ: الرحمٰن اسم ممنوع، (٦١) أى انه من أسماء الله تعالى التى منع عباده التسمية بها . وقد نقل ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ: الاجماع على ذلك ، حيث قال ـ بعد أن ذكر قول الحسن ـ: مع انّ فى اجماع الأمّة من منع التسمّى به جميع الناس مايغنى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا فى ذلك بقول الحسن وغيره (٦٢) .

ووصف غير الله تعالى بالرحمٰن من تعنّت الملحدين ، وقد تجاسر بنو حنيفة فسمّوا مسليمة الكذاب برحمان اليمامة، حيث قال شاعرهم :

سموت بالمجديا ابن الأكرمين أبا

وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

فلم يتسمّ به حتى قرع مسامعه نعت الكذاب ، فالزمه الله تعالىٰ ذلك، وان كان كلّ كافر كاذبا، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علما

يعرف به ، ألزمه الله تعالى ايّاه (٦٣) .

وقد جاء لفظ ,,الرحيم،، من القسم الثانى ، وهو الذى أباح الله تعالى لعباده أن يسمى به بعضهم بعضا فهو صفة مطلقة للمخلوقين، كالرؤوف والسميع والبصير والكريم ونحوها . كقوله تعالى فى وصف نبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ,,**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**،،(٦٤)، وكقوله تعالى فى شأن الانسان : ,,**انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيراً**،،(٦٥)، وكقوله تعالى عن جبريل ـ عليه السلام ـ: ,,**إنه لقول رسول كريم**،،(٦٦) .

مشـروعية البدء بالبسملـة :

لقد كان من عادة العرب قبل الاسلام، وغيرهم من أمم العالم أن يفتتحوا أعمالهم بأسماء آلهتهم أو عظمائهم من الرؤساء والملوك والطواغيت ، فيقولون : باسم اللآت أو باسم العزّىٰ أو باسم مناة، أو باسم الملك فلان ، أو الزعيم أو الرئيس أو القائد (٦٧) .

فلما جاء الاسلام الحنيف ، وأنزل الله تبارك وتعالى كتابه العظيم، على نبيّه الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ، افتتحه بكلمة مباركة، باسم الاله الحق ، وملك الملوك ، ,,بسم الله الرحمٰن الرحيم،، ارشادا وتعليما لنبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأمته أن يفتتحوا بها أعمالهم، وكلّ ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم مخالفة للمشركين والوثنيين، وابطالا لتلك العادات المنحرفة، والتقاليد المخالفة .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ:

ان الله تعالى ذكره ، وتقدسّت أسماؤه ، أدّب نبيّه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنىٰ أمام جميع أفعاله ، وتقدّم اليه فى وصفه بها قبل جميع مهماته ، وجعل ما أدّبه به من ذلك

وعلّمه ايّاه منه لجميع خلقه سنّة يستنّون بها ، وسبيلا يتبعونه عليها ، فبه افتتاح أوائل منطقهم ، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ، حتى أغنت دلالة ماظهر من قول القائل: ,,بسم الله،، على مابطن من مراده الذى هو محذوف .. ثمّ وضح ذلک بأن القائل اذا قال : ,, بسم الله الرحمن الرحيم،، تم افتتح تاليا سورة .. أنه مريد بذلک : أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وكذلک عند القيام والقعود وسائر الأفعال (٦٨) .

والابتداء بالبسملة يعنى : الاعتماد على الله تعالى ، والانقطاع واللجوء اليه ـ جلّ وعلا ـ ، والعمل لأجله وحده لا شريک له ، فهو يقول : أبتدئ عملى باسم الله الرحمٰن الرحيم ، أى باسمه وحده لا باسم سواه ، اقرارا بألوهيته ، واعترافا بنعمته، واستعانة به ـ تبارک وتعالى ـ، وأعمل له وحده لا لأحد كائنا من كان ، اذ هو مفزع للخائفين ، وغياث للمستغيثين ، وأنس للسامعين (٦٩) .

قال الامام المراغى ـ رحمه الله تعالى-:

ويمكن أن يكون المراد : أن القدرة التى أنشأت بها العمل هى من الله ، ولولا ما أعطانى من القدرة لم أفعل شيئا ، فأنا أبرأ من أن يكون عملى باسمى ، بل هو بآسمه تعالى لأننى أستمدّ القوة والعون منه، ولولا ذلک لم أقدر على عمله (٧٠) .

والبسملة وان كانت مشروعة عند كلّ أمر ذى بال (٧١) ، فانّ الشريعة الغراء قد خصّت بالذكر مواطن عديدة، أكدت فيها على البدء بالبسملة ، وحثت على الاهتمام بذلک عند الشروع فى تلک الأفعال ، والتى منها :

- عند دخول منزله أو خروجه منه ، ففى الحديث عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم-: (اذا ولج الرجل بيته فليقل : اللهم انى أسألک خير المولج وخير المخرج :و باسم الله ولجنا ، وبأسم الله خرجنا ، وعلى الله

ربنا توكلنا ، ثم ليسلّم على أهله)(٧٢) .

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى‌الله عليه وسلم ـ (من قال ـ يعنى اذا خرج من بيته ـ باسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ، وتنحّى عنه الشيطان . وزاد أبو داؤد فى روايته : فيقول ـ يعنى الشيطان لشيطان آخر ـ: كيف لک برجل قد هدى وكفى ووقى ؟ (٧٣) .

ـ وعند خلع الثياب : ففى الحديث عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم أن يقول الرجل المسلم اذا أراد أن يطرح ثيابه : باسم الله الذى لا اله الا هو) (٧٤) .

ـ وعند دخول الخلاء : ففى الحديث أنّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول عند دخول الخلاء : باسم الله ، اللهم انى أعوذبک من الخبث والخبائث (٧٥) .

قال الامام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ : قال أصحابنا ، ,,يريد الشافعية،، : ويستحبّ هذا الذكر سواء كان فى البنيان أو فى الصحراء، ويستحبّ أن يقول أوّلا : باسم الله ثمّ يقول :,, اللهم انى أعوذ بک من الخبث والخبائث،، (٧٦) .

ـ وعند الوضوء : قال الامام النووى ـ رحمه الله تعالى ـ: يستحب أن يقول فى أول الوضوء :,, بسم الله الرحمن الرحيم،، ، وان قال : باسم الله كفى ، فان ترک التسمية فى أول الوضوء أتى بها فى أثنائه (٧٧)، ويستحب أن يقول حينئذ : ,,باسم الله أوله و آخره ،، ، كما يستحبّ ذلک فى الطعام للحديث الصحيح ـ والله أعلم-(٧٨) .

ـ وعند دخول المسجد : حيث يقول بعد الدعاء المعروف (٧٩) : ,,بسم الله ،، ويقدم رجله اليمنى فى الدخول ، واليسرى فى الخروج (٨٠) .

ـ وعند الأكل والشرب ، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمر بن أبى

سلمة ـ رضى الله عنهما ـ : ... سمّ الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك(٨١) فان ترك التسمية فى أوله عامداً أو ناسياً أو مكرهاً ثمّ تمكن فى أثناء أكله ، استحبّ أن يسمى، فيقول : ,,بسم الله أوله وآخره،، ، لما روى عن أمية بن مخشى ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالسا ورجل يأكل ، فلم يسمّ حتى لم يبق من طعامه الا لقمة، فلما رفعها الى فيه قال : بسم الله أوله وآخره، فضحک النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : مازال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء مافى بطنه،، (٨٢) .

والتسمية فى شرب الماء واللبن والعسل والمرق وسائر المشروبات كالتسمية فى الطعام ، وقال العلماء : ويستحبّ أن يجهر بالتسمية ليكون فيه تنبيه لغيره على التسمية ، وليقتدئ به فى ذلک ـ والله أعلم ـ (٨٣) .

ـ وعند الجماع : لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لو أنّ أحدكم اذا أتى أهله قال : ,,بسم الله، اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا ، فقضى بينهما ولد لم يضرّه) وفى رواية للبخارى : لم يضرّه شيطان أبدا (٨٤) .

ـ واذا ركب الدابة : فعن على بن ربيعة قال : شهدت على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال : ,,بسم الله ،، ، فلما استوى على ظهرها قال : ,,**الحمد لله الذى سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين، وانّا الى ربنا لمنقلبون**،،(٨٥)، ثم قال: ,,الحمد لله ،، ثلاث مرات ، ثم قال : ,,الله أكبر ،، ثلاث مرات ، ثم قال: ,,سبحانک انى ظلمت نفسى فاغفرلى ، انه لايغفر الذنوب الا أنت ،، ثم ضحک ، فقيل : يا أمير المؤمنين من أىّ شئ تضحک ؟ قال : رأيت النّبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعل مثلما فعلت ثم ضحک ، فقلت :

يا رسول الله، من أيّ شئ ضحكت قال : ان ربک سبحانه يعجب من عبده اذا قال : اغفر لى ذنوبى ، يعلم أنه لايغفر الذنوب غيرى (٨٦) .

ويقول هذا الدعاء عند ركوب أيّ وسيلة يسافر بها سواء كانت دابة أو طيارة أو سيارة أو سفينة أو ماشابه ذلک .

ـ وعنـد النوم : فعن أبى زهير الأنمارى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا أخذ مضجعه من الليل قال : (باسم الله وضعت جنبى اللهم اغفرلى ذنبى ، وأخسئ شيطانى ، وفكّ رهانى، واجعلنى فى النّديّ الأعلى) ـ يـريد بالنـديّ الأعلـى : الملأ الأعلى ـ.

وفى الصحيح أنّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول اذا آوى الى فراشه : اللهم بأسمک أحيا و أموت ، وفى الصحيحين أنه كان يقول : بأسمک ربى وضعت جنبى وبک أرفعه ـ الحديث (٨٧) .

ـ وعند الـذبح : والتسمية عند الذبح مؤكدة حتى انّ بعض المذاهب الفقهية تراها شرطا فى حلّ الذبيحة ، وكذا التسمية على الصيـد ، ويسمّى عند ارسال البازى أو الكب وعند الرمى (٨٨) .

ـ وعند ادخال الميت فى قبره : فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا وضع الميت فى القبر قال : ,,بسم الله وعلى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ،، (٨٩) .

ـ واذا عثرت دابته: فعن أبى المليح التابعى المشهور عن رجل ـ من الصحابة اسمه أسامة ـ رضى الله عنه ـ قال (كنت رديف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعثرت دابته فقلت: تعس الشيطان فقال : لاتقل تعس الشيطان ، فانک اذا قلت ذلک تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بقوتى ، ولكن قل : باسم الله فانک اذا قلت ذلک تصاغر حتى يكون مثل الذباب)(٩٠) .

هذه بعض الأمثلة لبعض المواطن التى أكدت الشريعة الغراء على

الاتيان بالبسملة عندها ، وكما قلنا فانّ التسمية مستحبة فى جميع الاقوال والأفعال ، وقد عقد الامام البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ بابا فى جامعه الصحيح فقال : باب التسمية على كلّ حال ، وعند الوقاع (٩١) .

كما أنّ الأمة متفقة ـ كما يقول الامام القرطبى ـ على جواز كتابة البسملة فى أوّل كل كتاب من كتب العلم والرسائل (٩٢) .

وأكمل التسمية أن يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فان قال : بسم الله ، فقد حصل فضيلة التسمية بلا خلاف ، كما صرح بذلك الامام الماوردى وأمام الحرمين والغزالى وغيرهم ـ رحمهم الله تعالى ـ جميعا (٩٣) .

هل البسملة آية من الفاتحة ومن كلّ سورة ؟

لايخالف أحد من المسلمين فى أنّ البسملة من كلام الله تعالى ، وأنها بعض آية من القرآن الكريم ، وذلك لورودها فى سورة النمل ، فى قوله تعالى :,, انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ،، (٩٤) .

ولا خلاف ـ أيضا ـ فى اثباتها خطّا فى أوائل السور فى المصحف الاّ فى أول سورة التوبة ، ولا خلاف بين القراء السبعة فى تلاوتها فى أول فاتحة الكتاب ، وفى أوّل كل سورة الاّ أول سورة التوبة ـ وحذفها منهم أبو عمرو وحمزة وورش وابن عامر ـ (٩٥) .

ولكنّ العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ اختلفوا فى كونها آية من الفاتحة ومن كلّ سورة سوىٰ براءة على عدة أقوال، أهمها ثلاثة وهى :

القول الأول :

انها آية من الفاتحة ومن كل سورة سوى سورة براءة، وإلى هذا ذهب الامام الشافعى ، (٩٦) وأحمد فى احدى الروايتين عنه ـ رحمهما الله تعالى ـ .

وهو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبى هريرة ، ونقله البيهقى

عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنهم أجمعين ـ .

وبه قال سعيد بن جبير وعطاء وطاؤس وابن المبارك واسحاق ومكحول والزهرى والثورى ومحمد بن كعب القرظى .

وعلى هذا قراء مكة والكوفة وفقهاؤها ـ رحمهم الله تعالى جميعا.

القـول الثانى :

انها ليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور ، والى هذا ذهب الامام مالك وأبو داؤد ـ رحمهما الله تعالى ـ.

وهو قول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ

وعلى هذا قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ـ رحمهم الله تعالى اجمعين.

القـول الثالث :

انها ليست بآية من الفاتحة ، ولكنها آية فذة أنزلت للفصل بين السور ، والى هذا ذهب الامام أبو حنيفة والاوزاعى ومن تابعهما ـ رحمهم الله تعالى جميعا.(٩٨) .

أدلـة هـذه الأقـوال :

وقد استدل أصحاب هذه الأقوال لما ذهبوا اليه بعدة أدلة ، أصحّها وأهمها عند أصحاب كلّ قول ، مايلى :

القـول الأول :

ومن أدلة أصحاب هذا القول :

١) حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ وهو : أنه سئل كيف كانت قراءة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟ فقال : كانت مدّا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدّ ببسم الله ، ويمدّ بالرحمن ، ويمدّ بالرحيم (٩٩) .

٢) عن أمّ سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ،

يقطعها حرفا حرفا (١٠٠) .

٣) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم ـ لايعلم ختم السورة حتى تنزل : ,, بسم الله الرحمن الرحيم ،، (١٠١) .

٤) عن انس ـ رضى الله عنه ـ قال : بينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ بين أظهرنا اذ أغفا اغفاءة ثمّ رفع رأسه متبسّما ، فقلنا : ما أضحكك يارسول الله ؟ قال : أنزلت علىّ آنفا سورة فقرأ : ,,بسم الله الرحمن الرحيم . انا أعطينك الكوثر ، فصلّ لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر ،، ، أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فانه نهر وعدنيه ربى عزوجل ، عليه خير كثير ... الحديث (١٠٢) .

٥) قال الامام البيهقى ـ رحمه الله تعالى ـ : احسن ما آحتجّ به أصحابنا ـ الشافعية ـ فى أنّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من القرآن ، وأنها من فواتح السور سويُ سورة براءة : ما رويناه فى جمع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كتاب الله ـ عزوجل ـ فى المصاحف ، وأنهم كتبوا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، على رأس كل سورة سوى براءة ، فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن ؟ (١٠٣) .

القول الثانى :

ومن أدلة أصحاب هذا القول :

١) عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : صليت خلف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبى بكر وعمر وعثمان ، فكانوا يستفتحون بالحمد لله ولمسلم : لايذكرون ,,بسم الله الرحمن الرحيم ،، فى أول قراءة ولا فى آخرها .

٢) عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفتتح الصلاة بالتكبير ، والقراءة بالحمدلله رب العالمين (١٠٥) .

٣) عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : قال الله عزوجل ـ : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل ، فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدنى عبدى واذا قال : ,, الرحمٰن الرحيم ،، قال الله تعالى: أثنى علىّ عبدى . واذا قال : ,, مالك يوم الدين ،، ، قال مجدنى عبدى وقال مرة : فوّض الى عبدى . فاذا قال : ,, اياك نعبد واياك نستعين ،، قال : هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ماسأل . فاذا قال : ,,اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ،، . قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل) (١٠٦) .

٤) انّ أول ما نزل به جبريل عليه السلام ، على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو : ,,اقرأ بأسم ربك الذى خلق ،، (١٠٧) ، ولم يذكر البسملة ـ فى أوّلها فدلّ على أنها ليست منها (١٠٨) .

٥) أجمع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ على عدد آيات كثير من السور ، منها : سورة الملك ثلاثون آية ، وسورة الكوثر ثلاث آيات ، وسورة الاخلاص أربع آيات ، فلو كانت البسملة منها لكانت أكثر من ذلك (١٠٩) .

٦) انّ ذكر ,,الرحمن الرحيم ،، فى سورة الفاتحة ، دليل على انّ التسمية ليست منها ، اذ لو كانت منها لما أعادهما لخلوّ الاعادة عن الافادة (١١٠) .

٧) لو كانت آية من الفاتحة ومن سائر السور لنقلت بطريق التواتر القطعى الذى لايختلف فيه ، اذ القرآن لايثبت الا بذلك (١١١) .

القـــول الثالث :

١) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم ـ كان لايعرف فصل السورة حتى ينزل عليه ,,بسـم الله الرحمن الرحيم ،،(١١٢) .

٢) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قلت لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ : ما حملكم على أن عمدتم الى براءة وهى من المئين والى الأنفال وهى من المثانى فجعلتموهما فى السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما ,,بسم الله الرحمن الرحيم ،،؟ قال عثمان : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ينزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له فيقول: ضع هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وينزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك ، وكانت الأنفال من أول ما نزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر مانزل من القرآن ، وكانـت قصّـتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فمن هناك وضعتهما فى السبع الطوال ، ولم أكتب بينهما سطر ,,بسم الله الرحمن الرحيم ،، (١١٣) قالوا :

فأخبر عثمان ـ رضى الله عنه ـ أن بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن من السورة ، وأنه انما كان يكتبها فى فصل السورة بينها وبين غيرها لاغير (١١٤) .

٣) ما تقدم من أدلة أصحاب القول الثانى ، يصلح دليلا لهؤلاء ، لاتفاقهم على أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من سائر السور .

خـــلاصة القـــول :

الـذى نستطيع أن نقوله بعد عرض هذه الأقوال : أنه من المستبعد جدا أن ينتصر أحد لقول من تلك الأقوال ثم لا يجد معارضة لاتقل قوة من حيث الاستدلال والنقاش عن قوته فى استدلاله ونقاشه ... ذاك لتكافؤ الأدلة وصحة الكثير منها ، غير أنّ المرء له أن يذكر مايـراه

راجحا فى نظره ، وقبل أن أعرض وجهة نظرى فى هذه المسألة أودّ أن أقول :

أننا نحمد الله تعالى أن وجدت فى كتابه هذه الكلمة المباركة ، مما جعل المسلمين يتفقون على أنها بعض آية من كتاب الله تعالى : ,,انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ،، ، فلا يخالف أحد فى أنها قرآن يتلى .

فلا مدخل للمغرضين والمشككين من أعداء الله تعالى لاثارة شبهة الاختلاف فى شئ من كتاب الله تبارك وتعالى :

ومما نحمد الله تعالى عليه : انّ الأمة مجمعة ـ كما يقول الامام الشوكانى ـ على أنه لايكفر من أثبتها ولا من نفاها ، لاختلاف العلماء فيها ، بخلاف مالو نفى حرفا مجمعا عليه ، أو أثبت مالم يقل به أحد فانه يكفر بالاجماع (١١٥) .

وأما عن كونها آية من الفاتحة ومن كل سورة سوى براءة : فانّ الناظر فى أدلة كل فريق ، يقف أمام دليلين لهما من الوجاهة مايستدعى التأمل والنظر :

أمّا الأول : فهو ما ذهب اليه الامام البيهقى ، وهو ماذكرناه فى الدليل الخامس لأصحاب القول الأول ... .

وأمّا الثانى : فهو ما ذكر فى الدليل السابع لأصحاب القول الثانى ... .

فهذان دليلان قويان ... الأول يقرر أن كتابتها فى المصحف مع اتفاقهم على تجريده مما سواه من أحسن مايستدّل به على أنها آية .

وهذا قول تبدو عليه مخايل الجودة والاستحسان ، بل والترجيح والاطمئنان . ومما يؤيد هذا أنهم لم يكتبوا آمين ، مع صحة الأحاديث وتأكيدها على الاتيان بها ، كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(اذا قال الامام : ,, غير المغضوب عليهم ولا الضالين ،، فقولوا : آمين، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (١١٦) .

وفى هذا يقول الامام الآلوسى ـ فى معرض ردّه على الامام الرازى ـ رحمهما الله تعالى ـ : وأما الحجة السادسة ـ وهى هذه ـ : فهو أقوى ما يستدلّ به على كون البسملة من القرآن ، وأما على أنها من الفاتحة فلا، وتعرّض نفاة كونها قرآنا للتكلم فى هذا الدليل مما لايرضاه الطبع السليم ، والذهن المستقيم ، والانصاف نصف الدين ، والانقياد للحق من أخلاق المؤمنين (١١٧) . والثانى يقرر أنها لو كانت آية لنقلت بطريق التواتر ، ولما اختلف فيها ، اذ القرآن لايختلف فيه .

وهو أيضا ـ كما ترى ـ دليل قوى ، تبدو عليه مخايل الجودة والاستحسان، بل وانا لنجد أنّ هناك من يرجحه ويطمأنّ اليه .

ولكن يمكن أن يجاب عن الدليل الثانى : بأن كتابتها فى المصحف كاف فى اثبات قرآنيتها ، وأن ذلك ـ بحد ذاته ـ نقل متواتر، فلا يعبأ بالخلاف بعده .

وبهذا يمكن القول بأن ماذهب اليه الامام البيهقى ـ رحمه الله تعالى ـ أقوى ، وهو أولى بالقبول ـ والترجيح .

غير أن هذا لايعنى أنها آية من كلّ سورة سوى براءة ، وانما يعنى ثبوتها فى أوائل السور ماعدا براءة ، بمعنى أنها قد تكون آية أو بعض آية .

وعلى هذا يكون ماذكره الامام البيهقى فى أول الدليل ـ فى أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن ، وأنها من فواتح السور سوى سورة براءة هو المعوّل عليه ، دون ماذكره فى آخره ، وهو قوله : فكيف يتوهّم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن ، ونرى أنه لو قال ـ رحمه الله تعالى ـ: أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر مرة

بسم الله الرحمن الرحيم ـ كان أسلم ـ والله أعلم ـ .

حكم الجهر والاسرار بالبسملة :

وبناء على الخلاف المتقدم فى كون البسملة آية من كل سورة سوى براة أولا ، تفرع خلاف آخر ، وهو حكم الجهر بها وعدمه .

فمن ذهب الى أنها من الفاتحة ومن كل سورة سوى براءة ، أعطاها حكم تلك السور فى الجهر والاسرار ، فيجهر بها فى الصلاة الجهرية، ويسرّ فى الصلاة السرية ، ومن لم يذهب الى ذلك أسرّ بها فى جميع الصلوات .

وعلى هذا فقد جهر بها من الصحابة : أبو هريرة وابن عمر وابن عباس و معاوية وابن الزبير ، وحكاه ابن عبدالبر والبيهقى عن عمر وعلى ، ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلى ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وهذا النقل غريب .

ومن التابعين فى بعدهم : سعيد بن جبير وعكرمة وأبو قلابة والزهرى وعطاء وطاؤس ومجاهد وعلى بن الحسين وابنه محمد وسعيد بن المسيب وسالم ومحمد بن كعب القرظى وابن سيرين ومكحول وعمر ابن عبدالعزيز وغيرهم . واليه ذهب الامام الشافعى ، وهو أحد قولى ابن وهب صاحب مالك ، ويحكى ـ أيضا ـ عن ابن المبارك وأبى ثور ـرحمهم الله تعالى جميعا ـ .

وأسرّ بها من الصحابة : الخلفاء الأربعة وهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلى ـ وهذا هو الثابت عنهم ـ وابن مسعود وعمار بن ياسر وعبدالله ابن مغفل وغيرهم ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

ومن التابعين فمن بعدهم : الحسن والشعبى وابراهيم النخعى وقتادة والأعمش والثورى وغيرهم .

واليه ذهب الأئمة مالك و أبوحنيفة وأحمد ـ رحمهم الله

تعـالى جميعـا ـ (١١٨) .

ولكل فريق فيما ذهب اليه أدلة صحيحة وصريحة ، وما ذكرنـاه سابقا عن الأدلة وتكافئها يمكن أن نذكره هنا ، ولذا فلسنا بحاجة الى سرد تلك الأدلة ومناقشتها ، لاسيما وأنّ الجميع اتفقوا وأجمعوا ـ كما يقول الحافظ ابن كثير ـ على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسرّ، ولله الحمد والمنة (١١٩) .

فـائدة وذكـرى :

تدفعنا كلمة الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالـى ـ لأن نقـول لاخواننا المسلمين فى هذا العصر الذى تفشّت فيه خلافاتهم ، وكثرت بل وطمّت وعمّت منازعاتهم :

ابحثوا ـ يا أبناء الاسلام ـ وانظروا واجتهدوا ، ليتوصّل كلّ منكم الى ماهداه الله تعالى من الحقّ ، ثم ليعذر بعضكم بعضـا فى ذلك الاجتهاد ـ مادام فى اطار القواعد العامة ، غير خارج عن الاصول المجمع عليها ـ، ولينظر كل فرد الى أخيه بعين الالفة والمحبة ، وليقل بلسان الحق ومنطق الانصاف :

لماذا أجيز لنفسى أن أجتهد وأعلن عن رأيى الذى آمنت أنـه الحق ، ثمّ أشنّع على أخى المسلم حين يصنع مثل ذلك ؟ ..

أقـول :

ألا ياحبّذا لو سار المسلمون على هذا النهج القويم ، وسلكوا هذا الدرب المستقيم ، وحسنت ظنون بعضهم ببعض ، اذا لكانوا قوّة ترتعد منها فرائص أعدائهم ، وبابا موصدا ، وسدا منيعا ، بوجه زراع الشقاق، ومثيرى النزاع ، وحملة لواء الفرقة ، وتشتيت الجموع ، لادراكهم أن لاسبيل الى الانتصار على أعداء أمة الاسلام الا بهذا السبيل ، وكأنهم عقلوا عن الله تبارك وتعالى قوله فى خطاب المؤمنين : ,,ولا تنازعوا

فتفشلوا وتذهب ريحكم ،، (١٢٠) .

فآجتهدوا فى اذكاء هذا النزاع ، وترويج سوق الخلاف والشقاق ، وللأسف أن نرى جهودهم قد أثمرت ، وثمارهم قد أينعت . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

سبب سقوط البسملة من أوّل براءة :

وبعد هذه النظرات السريعة فى هذا اللفظ الكريم ,,بسم الله الرحمن الرحيم،، ، نأتى الى القسم الثانى من هذا البحث وهو : بيان السبب فى عدم كتابة البسملة فى أول سورة التوبة من بين سور القرآن الكريم ، وذلك بذكر أقوال العلماء ومناقشتها ، ثمّ الخلوص الى القول الراجح منها ـ فنقول ـ وبالله التوفيق :

اختلف العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ فى سبب سقوط البسملة من أول سورة التوبة ، على أقوال عدة ، أهمها مايلى :

القول الأول :

أخرج الامام أحمد وأبو داؤد والترمذى وغيرهم عن ابن عباس ـرضى الله عنهما ـ قال : قلت لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ما حملكم أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى (١٢١) ، والى براءة وهى من المئين (١٢٢) فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر ,,بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها فى السبع الطوال (١٢٣) ، ما حملكم على ذلك ؟

فقال عثمان : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما يأتى عليه الزمان وهو تتنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان اذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الانفال من اوائل ما

انزلت بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت انها منها ، فقبض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يبين لنا انها منها ، فمن اجل ذلك قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها فى السبع الطوال (١٢٤).

مناقشة القول الأول وردّه :

يستند هذا القول على حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فيما قاله لعثمان ـ رضى الله عنه ـ ، وما أجابه به مما تقدم ذكره .

وهذا الحديث متكلم فيه من حيث سنده ومتنه ، وذلك لتفرد يزيد الفارسى بروايته عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ، ويزيد هذا مختلف فيه ـ كما سيأتى بعد قليل ـ ، فلا يقبل ماتفرد به لاسيما وهو يروى أمرا مهما وخطيرا يتعلّق بكتاب الله تعالى من حيث ترتيب سوره المقتضى للتواتر القطعى . وأيضا فانّ هذا الحديث لايثبت أمام تطبيق القواعد الصحيحة التى قرّرها أئمة الحديث الشريف ، والتى لاخلاف فيها بينهم ، ذكر ذلك الاستاذ أحمد شاكر فى شرحه لمسند الامام أحمد ـ رحمه الله ورضى عنه ـ ، وسأضع أمام نظر القارئ الكريم نصّ كلامه بحروفه وبطوله ، نظرا لأهميته ونفاسته فقد قال ـ رحمه الله تعالى ـ لدى تعليقه على هذا الحديث :

فى اسناده نظر كثير ، بل هو عندى ضعيف جدا ، بل هو حديث لا أصل له يدور اسناده فى كل رواياته على يزيد الفارسى الذى رواه عن ابن عباس ، تفرد به عوف بن أبى جميلة الأعرابى ـ وهو ثقة ـ .

وأنكر الأستاذ أحمد شاكر زيادة التصحيح فى عبارة الامام الترمذى فقال : فى نسخة الترمذى ـ (طبعة بولاق ١٨٢/٢) ـ حسن صحيح ، وزيادة التصحيح خطأ . فانّ النسخ الصحيحة التى فى شرحه للمباركفورى ليس فيها هذا ، وكذلك لم يذكر فى مخطوطتنا الصحيحة

من الترمذى ، التى صححها الشيخ عابد السندى محدّث المدينة فى القرن الماضى ، وهى التى وصفتها فى ص ١٣ من مقدمة شرحى على الترمذى ، وأيضا فلم ينقل المنذرى والسيوطى عن الترمذى الا تحسينه، انظـر شرح أبى داؤد والدر المنثور ٣/٢٠٧ .

ويزيد الفارسى هذا مختلف فيه : أهو يزيد بن هرمز ام غيره ؟ قال البخـارى فى التاريـخ الكبيـر ٢/٤/٠٣٦٧ (قال لى علـى : قال عبدالرحمن : يزيد الفارسى هو ابن هرمز ، قال فذكرته ليحى فلم يعرفه، قال : وكان مع الامراء)، وفى التهذيب ٣٦٩/١١: (قال ابن ابى حاتم : اختلفوا هل هو ـ يعنى ابن هرمز ـ يزيد الفارسى أو غيره ؟ فقال ابن مهدى واحمد : هو ابن هرمز ، وانكر يحيى بن سعيد القطان ان يكونا واحدا ، وسمعت ابى يقول : يزيد بن هرمـز هذا ليس بيزيـد الفارسى ، هو سواه) ، وذكره البخارى ايضا فى كتاب الضعفاء الصغير ص ٣٧ وقال نحوا من قوله فى التاريخ الكبير .

فهذا يزيد الفارسى الذى انفرد برواية هذا الحديث يكاد يكون مجهولا ، حتى شبه على مثل ابن مهدى واحمد والبخارى ان يكون هو ابن هرمز أو غيره ، ويذكره البخارى فى الضعفاء ، فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به ، وفيه تشكيك فى معرفة سور القرآن الثـابتة بالتواتر القطعى ، قراءة وسماعا وكتابة فى المصاحف ، وفيه تشكيك فى اثبات البسملة فى اوائل السور ، كأن عثمان يثبتها برأيه وينفيها برأيه ـ وحاشاه من ذلك ـ ، فلا علينا اذا قلنا : انه حديث لا اصل له ، تطبيقا للقواعد الصحيحة التى لاخلاف فيها بين أئمة الحديث ، قال السيوطى فى تدريب الراوى (٩٩) فى الكلام على امـارات الحديـث الموضوع : ان يكون منافيا لدلالة الكتاب القطعية ، أو السنة المتواترة ، أو الاجماع القطعى . وقال الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة : ومنها

مايؤخذ من حال المروى كأن يكون مناقضا لنص القرآن ، أو السنة المتواترة ، أو الاجماع القطعى . وقال الخطيب فى كتاب الكفاية (٤٣٢):

(ولا يقبل خبر الواحد فى منافاة حكم العقل ، وحكم القرآن الثابت المحكم ، والسنة المعلومة ، والفعل الجارى مجرى السنة ، وكل دليل مقطوع به ، وكثيرا ما يضعف أئمة الحديث راويا لانفراده برواية حديث منكر يخالف المعلوم من الدين بالضرورة ، او يخالف المشهور من الروايات ، فأولى ان نضعف يزيد الفارسى هذا بروايته هذا الحديث منفردا به ، الا ان البخارى ذكره فى الضعفاء ، وينقل عن يحيى القطان انه كان يكون مع الامراء .

ثم بعد كتابة ما تقدم وجدت الحافظ ابن كثير نقل هذا الحديث فى التفسير ٤/١٠٦ ـ ١٠٧ ، وفى كتاب فضائل القرآن المطبوع فى آخر التفسير ص ١٧ ـ ١٨ ، ووجدت استاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ علق عليه فى الموضعين ، فقال فى الموضع الأول ـ بعد الكلام على يزيد الفارسى ـ : فلا يصح ان يكون ما انفرد به معتبرا فى ترتيب القرآن الذى يطلب فيه التواتر ، وقال فى الموضع الثانى : فمثل هذا الرجل لايصحّ ان تكون روايته التى انفردبها مما يؤخذ به فى ترتيب القرآن المتواتر .

وهذا يكاد يوافق ماذهبنا اليه ، فلا عبرة بعد هذا كله فى هذا الموضع بتحسين الترمذى ، ولا بتصحيح الحاكم ، ولا بموافقة الذهبى ، وانما العبرة للحجة والدليل ، والحمد لله على التوفيق ٠١ هـ (١٢٥) .

وممن طعن فى هذا القول ـ أيضا ـ ولم يرضه الامام فخر الدين الرازى ، حيث قال ـ فيما نقله عن القاضى ـ رحمهما الله تعالى ـ فى ردّه : يبعد أن يقال : انه ـ عليه السلام ـ لم يبيّن كون هذه السورة تالية لسورة الأنفال ، لانّ القرآن مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله

على الوجه الذى نقل ، ولو جوّزنا فى بعض السور أن لايكون ترتيبها من الله على سبيل الوحى ، لجوزنا مثله فى سائر السور ، وفى آيات السورة الواحدة ، وتجويزه يطرف ما يقوله الامامية من تجويز الزيادة والنقصان فى القرآن ، وذلک يخرجه من كونه حجة ، بل الصحيح انه ـعليه السلام ـ أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الأنفال وحيا ، وأنه ـ عليه السلام ـ خذف بسم الله الرحمن الرحيم من أول هذه السورة وحيا (١٢٦) .

وفى هذا يقول الامام الشربينى ـ رحمه الله تعالى ـ:

والقول بأنّ قصتها تشابه قصتها وتناسبها فضمّت اليها ، انما يتمّ اذا قلنا انهم انما وضعوا هذه السورة من قبل أنفسهم لهذه العلّة (١٢٧).

ومن كلّ ما تقدم يظهر أنّ هذا القول لايعوّل عليه ، وانه قول مردود لايصحّ سندا ولا متنا .

القول الثانى :

ان الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ اختلفوا فى ان سورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان ؟ فقال بعضهم : سورة واحدة ، لانهما نزلتا فى القتال ، ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات ، فكانت هى السورة السابعة من السبع الطوال . وقال بعضهم :هما سورتان، فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ تركوا بينهما فرجة على قول من يقول : انهما سورتان ، ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول : هما سورة واحدة ، فرضى الفريقان ، وثبتت حجتاهما فى المصحف (١٢٨) .

ويرّد عليه :

بأنه قول ضعيف لايعول عليه ، وذلک لاستفاضة النقل ـ كما يقول الحاكم ـ على انهما سورتان (١٢٩) ، ولاشتهار سورة التوبة بأسماء

كثيرة لم تبلغها اى سورة اخرى من سور القرآن الكريم ، وقد اوصلها الامام ابو السعود فى تفسيره الى اربعة عشر اسما ، وقال : وذلك يقضى بانها سورة مستقلة ، وليست بعضا من سورة الانفال (١٣٠) .

ولأن الذى يقرأ سورتى الانفال والتوبة بامعان وتدبر ، يرى ان لكل منهما موضوعاتها الخاصة بها ، والتى اهتمت بها اكثر من غيرها ، فسورة الانفال تحدثت باستفاضة عن غزوة بدر وما يتعلق بها ، ونزلت فى السنة الثانية من الهجرة، بينما تحدثت سورة التوبة عن غزوة تبوك باستفاضة ـ ايضا ـ ، ونزلت فى السنة التاسعة من الهجرة (١٣١) .

ولا شك ان هذه الاعتبارات ـ من احتفاظ كل من السورتين منذ العهد الاول بما لها من اسم لم تشاركها فيه صاحبتها ، واحتفاظ كل منهما بوقت نزولها ، واحتفاظ كل منهما بهدفها الخاص ، وهى اعتبارات واضحة وبينة ومحققة فى السورتين منذ الصدر الأول ـ لاشك انها تدل دلالة واضحة على انهما سورتان منفصلتان ، وان عدهما سورة واحدة رأى لا قيمة له كما لاقيمة للاشتباه فى استقلال كل منهما ، حتى يقال : تركت البسملة بينهما نظرا الاحتمال وحدتهما ، وتركت بينهما فرجة نظرا لاحتمال انفصالهما .

وقد عرف مع ترك التسمية بينهما انهما سورتان مستقلتان من عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى يومنا هذا ، وقد جاءتا كذلك فى المصاحف الاولى ـ مصحف عثمان وعلى وابن عباس ـ فلا معنى بعد هذا كله لاثارة شبهة قد تمس من قرب او بعد قداسة تنظيم كتاب الله وترتيبه ، بناء على روايات ضعيفة أو موضوعة (١٣٢) .

ومن كل ماتقدم يظهر بأن القول بانهما سورة واحدة قول غير مقبول ، وان القول بانهما سورتان مستقلتان هو القول المعتمد فى هذه المسألة ـ والله اعلم ـ.

القـول الثالث :

ان سورة براءة نسخ اولها فسقطت معه البسملة ، وبهذا قال الامام مالک كما رواه عنه ابن وهب وابن القاسم وابن عبدالحكم .

وعـن ابـن عجـلان وسـعيـد بن جبيـر : انهـا كانـت تعـدل سـورة البقـرة (١٣٣) .

الـرد على هذا القـول :

وقد ردّ الدكتور محمد سيد طنطاوى على هذا القول بأنـه قول ساقط لايعتد به ، لأنه لا دليل عليه ولا سند له ، ويؤدى الالتفات اليه الى المساس بقداسة القرآن الكريم ، حيث انّ بعض سوره كانت طويلة ثم سقط منها ما سقط (١٣٤) .

ويعترض عليه بما اخرجه الحاكم عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال:

(ما تقرءون ربعها ـ يعنى سورة براءة ـ ، وانكم تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب) (١٣٥) .

فقوله : (ما تقرءون ربعها) يدل على ان سورة براءة كانت طويلة فنسخ منها ما نسخ حتى انه لم يبق الا ربعها ، والقول بالنسخ لايؤدى الى المساس بقداسة القرآن الكريم بعد ثبوت الدليل عليه ، ولكن يبقى انه لامستند على نسخ البسملة من اول هذه السورة ، وبذلک يسقط هذا القول ـ والله اعلم ـ .

القـول الرابع :

ان هذه السورة نزلت لرفع الامان الذى يأبى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة .

وبه قال سيدنا على بن ابى طالب ـ رضى الله عنه ـ ، فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : سألت على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ لم لم تكتب فى براءة بسم الله الرحمن

الرحيم ؟ قال : لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان (١٣٦) .

وقال به ـ أيضا ـ سفيان بن عينية ، فانه لما سئل عن ذلك قال : لان التسمية رحمة والرحمة أمان ، وهذه السورة نزلت فى المنافقين ، واكده بقوله تعالى : ,, **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السّلام لست مؤمنا**،، (١٣٧) ، فقيل له : أليس أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فأجاب : فان ذلك ابتداء منه بدعوتهم الى الله ، ولم ينبذ اليهم عهدهم ، ألا تراه قال فى آخر الكتاب: **والسلام على من اتبع الهدىٰ** ؟ وأما هذه السورة فقد اشتملت على المقاتلة ونبذ العهود ، فظهر الفرق (١٣٨) .

ويــرّد عليه :

بأنه قول لا يخفى ضعفه ، كما يقول الشنقيطى (١٣٩) ، لانه ليس سببا فى سقوط البسملة من أول سورة براءة ، ولكنه تعليل عقلى على سبيل الاجتهاد ـ كما يقول الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ لبيان الحكمة فى عدم كتابة البسملة فى اولها (١٤٠) ، فهو حكمة لاعلة (١٤١) .

اقول : ويعتبر هذا القول من أهم الأقوال التى تبين الحكمة من عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة التوبة ، بل هو أهمها ـ والله أعلم ـ .

القــول الخامس :

ان البسملة لم تكتب فى أول سورة التوبة ، لان جبريل ـ عليه السلام ـ ما نزل بها فيها ، وبه قال الامام القشيرى ـ رحمه الله ـ وصححه (١٤٢) .

تــرجيح هذا القــول :

ويعدّ هذا القول هو الراجع فى هذه المسألة ، وذلك لترجيح جمع

كبير من العلماء له وعلى رأسهم الامام المحقق فخر الدين الرازى ـرحمه الله ـ ، حيث قال فى معرض رده على القول الأول :

الصحيح أنه ـ عليه السلام ـ أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحيا ، وانه ـ عليه السلام ـ حذف بسم الله الرحمن الرحيم من أول هذه السورة وحيا (١٤٣) .

وتقدم ان الامام القشيرى صححه ، وتابعه فى ذلك الامام القرطبى (١٤٤) .

وقال الامام السيوطى ـ رحمه الله ـ: لم تكتب فيها ـ اى فى اول سورة التوبة ـ البسملة لانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يؤمر بذلك ، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم (١٤٥) .

وقال الجمل فى الفتوحات الالهية موضحا لذلك : أى لانه لا مدخل لرأى أحد فى الاثبات والترك ، وانما المتبع فى ذلك هو الوحى والتوقيف ، وحيث لم يبين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك تعين ترك التسمية ، لان عدم البيان من الشارع فى موضع البيان بيان للعدم (١٤٦) .

وقد أيد الدكتور محمد سيد طنطاوى هذا القول ، حيث قال ـ بعد ان نقله عن الامام القرطبى ـ رحمه الله ـ : وقول القرطبى هو القول الذى نعتمده ، وتطمئن اليه قلوبنا ، وقد رجحه المحققون من العلماء (١٤٧) .

وممن ذهب الى ذلك ـ ايضا ـ الاستاذ محمود شلتوت حيث قال : اما ترك التسمية بينهما فلانهما لم تنزل بينهما كما نزلت بين كل سورة وسابقتها ، ولم تكن كتابتها بين السورتين أو تركها الا بتوقيف ووحى ، الى ان يقول :

ونحن نؤمن بعد دراسته كتاب الله انه فى تفصيل سوره و آياته ،

وترتيب سوره و آياته ، لم يكن أثرا لاجتهاد مجتهد ، وانما كان توقيفا ووحيا أمر به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونفذه قبل ان يلحق بالرفيق الأعلى (١٤٨) .

أقـول : وحيث لم يرد أىّ اعتراض من أحد العلماء علـى هذا القول ، ونظرا لسلامته وصحة معناه ، ولدلالة القول السابق بمفهومه من سؤال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وجواب علىّ له ، مقررا عدم وجود البسملة ، مع ترجيح جمهرة من العلماء السابقين واللاحقين له ، نرى انه هو القول المعتمد فى هذه المسألة ، وانه هو القول الصحيح ، وعليه المعول فى ذلك ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ

هذا ... وثمة أقوال أخر ، وصلت بتتبعى لها فى مصادرها المختلفة الى خمسة اقوال ، اضافة الى ماتقدم ، الا ان هذه الاقوال كلها ماهى الا اجتهادات وآراء لبعض العلماء ، لا دليل عليها ، ولا سند لها ، ولذا أضربت عن ذكرها طلبا للاختصار (١٤٩) .

فـــائـدة :

وبعد ان علم ان الاجماع منعقد على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة التوبة ، وأن القراء أجمعوا على ترك الفصل بينها وبين سورة الانفال بالبسملة اتباعا لسقـوطها فى الرسـم من المصحف الامام (١٥٠) . فما الحكم فيما لو سمى القارئ فى اولها ؟

يرى بعض العلماء ان القارئ لو ابتدأ قراءته من اول سورة التوبة فاستعاذ ووصل الاستعاذة بالبسملة تبركا بها ، ثم تلا السورة جاز له ذلك ، ولا حرج عليه ـ ان شاء الله تعالى ـ ، كما يجوز له اذا ابتدأ من بعض السورة ان يفعل ذلك .

وممن ذهب الى ذلك ابو الفتح بن شيطا وقال : وانما المحذور ان يصل آخر الانفال بأول براءة ، ثم يصل بينهما بالبسملة ، لان ذلك

بدعة وضلال ، وخرق للاجماع ، ومخالف للمصاحف (١٥١) .

والامام السخاوى ، فقد قال فى جمال القـراء : وروى يحيـى والاعشى عن ابى بكر عن عاصم ـ رحمه الله ـ التسمية فى اول براءة فى القراءة وهو القياس ، لان اسقاطها اما ان يكون لان براءة نزلت بالسيف ، او لانهم لم يقطعوا بانها سورة قائمة بنفسها دون الانفال ، فان كان لانها نزلت بالسيف فذاك مخصوص بمن نزلت فيه ، ونحن انما نسمى للتبرك ، الا ترى انه يجوز بغير خلاف ان يقول مبتدئا : ,,بسم الله الرحمن الرحيم، ,,**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافّة**،، (١٥٢)، وفى نظائرها من الآى ؟ وان كان اسقاطها لانها لم يقطع بانها سورة وحدها ، فالتسمية فى اوائل الأجزاء جائزة ، وقد علـم الغرض باسقاطها فلا مانع من التسمية (١٥٣) .

والى المنع من ذلك جنح ابو اسحاق الجعبرى حيث قال رادا على السخاوى : ان كان نقلا فمسلم والافرد عليـه انه تفريع على غير اصل ، وتصادم لتعليله (١٥٤) .

وتعقبه الشهاب فى حاشيته فقال : لا وجه له ، والمعمول عليه الأول ، الا انه لم يفهم المراد منه ، لان المراد ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر ان ينادى بها ، فهى كالاوامر الشرعية ، ومثله لا يبدأ بها (١٥٥) .

وبين ابن الجزرى ـ بعد ان نقل كلام السخاوى والجعبرى ـ ان كليهما يحتمل ، وقال : الصواب ان يقال :

ان من ذهب الى ترك البسملة فى اوساط غير براءة لا اشكال فى تركها عنده فى وسط براءة ، وكذا لا شكال فى تركها فيها عند من ذهب الى التفصيل ، اذ البسملة عندهم فى وسط السورة تبع لاولها ، ولا تجوز فى اولها فكذلك فى وسطها .

واما من ذهب الى البسملة فى الاجزاء مطلقا ، فان اعتبر بقاء أثر العلة التى من اجلها حذفت البسملة من اولها ـ وهى نزولها بالسيف كالشاطبى ومن سلك مسلكه ـ لم يبسمل ، وان لم يعتبر أثرها ، او لم يرها علة بسمل بلا نظر ـ والله تعالى أعلم بالصواب ـ (١٥٦) .

هـــوامـش

١ ـ انظر النووى على مسلم ٨٧/٤ .

٢ ـ كذا فى الشعر المنسوب الى ابن أبى ربيعة برقم ٤١٣ كما فى شرح ديوانه للشيخ محمد محى الدين عبدالحميد ص ٤٩٠ ، ط . ١ ، مطبعة السعادة ، وذكره المفسرون بلفظ : ذاك الحبيب المبسمل .
النكت والعيون ,,تفسير الماوردى،، ٥٢/١ .

٣ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ٩٧/١ ، الفتوحات الالهية ٧٧/٤ـ ٦١٨ .

٤ ـ انظر املاء مامنّ به الرحمن للشيخ أبى البقاء العكبرى ٤/١ .

٥ ـ انظر مدارك التنزيل للنسفى ٤/١ .

٦ ـ سورة العلق ، آية : ١ .

٧ـ سورة هود ـ عليه السلام ـ ، آية : ٤١ .

٨ ـ سورة الحديد ، آية :٣ .

٩ ـ سورة الروم ، آية : ٤ .

١٠ ـ سورة الفاتحة ، آية : ٥ .

١١ ـ انظر التفسير الكبير ١٠٨/١ .

١٢ ـ انظر معالم التنزيل ١٧/١ ، ولباب التأويل ١٧/١ ، التفسير الكبير ١١٣/١ .

١٣ ـ سورة الأعلى ، آية : ١ .

١٤ ـ انظر معالم التنزيل : ١٧/١ .

١٥ ـ انظر لباب التأويل ١٧/١ .

١٦ ـ انظر التفسير الكبير ١١٦/١ .

١٧ ـ انظر مدارك التنزيل ٤/١ .

١٨ ـ انظر التفسير الكبير ١١٥/١ ، ومعالم التنزيل ١٧/١ .

١٩ ـ انظر المصدرين السابقين .

٢٠ ـ انظر املاء مامنّ به الرحمن ٤/١ .

٢١ ـ انظر لباب التأويل ١٧/١ ، ارشاد العقل السليم ١٠/١ .

٢٢ ـ سورة مريم ـ عليها السلام ـ آية ٦٥ .

٢٣ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ١ ١٠٢ .

٢٤ ـ انظر التفسير الكبير ١٦٢/١ ونسبه الى أكثر الاصولين والفقهاء ، وانظر المصدر السابق ١٠٣/١، البحر المحيط ١٤/١ ، وابن كثير ٢٠/١ .

٢٥ ـ سورة الأعراف ، آية : ١٢٧ .

٢٦ ـ انظر معالم التنزيل : ٣٨/١ .

٢٧ ـ سورة لقمان ، آية : ١١ .

٢٨ ـ انظر مدارك التنزيل ٣/١ .

٢٩ ـ انظر معالم التنزيل ٣٨/١.

٣٠ ـ انظر المصدر السابق ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١ .

٣١ ـ انظر التفسير الكبير ١٦٦/١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١ .

٣٢ ـ سورة الرعد ، آية : ٢٨

٣٣ ـ انظر المراجع السابقة .

٣٤ ـ انظر مدارك التنزيل ٣/١ ، وانظر املاء مامنّ به الرحمن للعكبرى ٥/١ .

٣٥ ـ سورة الحشر الآيات : ٢٢ ـ ٢٤ ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٠/١ ، والنووى على مسلم ٥/١٧ .

٣٦ ـ انظر التفسير الكبير ١٦٩/١ ـ ١٧٠ ، ولباب التأويل ١٨/١ .

٣٧ ـ التفسير الكبير ١٧٠/١ .

٣٨ ـ انظر أنوار التنزيل ٦/١ ، وانظر ماذكره ابن قتيبة فى تفسير غريب القرآن ص ٦ .

٣٩ ـ انظر مجاز القرآن ٢١/١ ، وآنظر مناقشة ابن جرير الطبرى له ١٣٢/١ .

٤٠ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠٤/١ و ١٠٥ ، معالم التنزيل ٣٨/١ .

٤١ ـ انظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٢/١ .

٤٢ ـ انظر تفسير المنار ٤٦/١ .

٤٣ ـ انظر الكشاف ٦/١ ، وأنوار التنزيل ٦/١ ـ ٧، واملاء مامنّ به الرحمن ٥/١ ، وفتح القدير ٨/١ .

٤٤ ـ انظر المحرر الوجيز ٥٨/١ ، طبعة المغرب

٤٥ ـ سورة التوبة ، آية : ١٢٨ .

٤٦ ـ انظر معالم التنزيل ٣٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠٥/١ .

٤٧ ـ سورة الأحزاب ، آية : ٤٣ .

٤٨ ـ أخرجه ابن جرير مختصرا برقم ١٤٦ ، فى تفسير البسملة ١٢٧/١ ، وذكره بتمامه القرطبى ١٠٥/١ .

٤٩ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠٥/١ ، ومن جميل الشعر قولهم فى هذا الباب :

لاتسألنّ بنى آدم ، حاجة وسل الذى أبوابه لاتحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله وبنىّ آدم حين يُسأل يغضب

٥٠ ـ انظر تفسير المراغى ٢٨/١ .

٥١ ـ انظر تفسير المنار ٤٧/١ .

٥٢ ـ انظر جامع البيان ١٣٢/١ .

٥٣ ـ انظر مدارك التنزيل ٣/١ .

٥٤ ـ انظر ارشاد العقل السليم ١١/١ .

٥٥ ـ سورة التوبة ، آية : ١٢٨ .

٥٦ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠٦/١.

٥٧ ـ انظر ص ٦ من هذا البحث .

٥٨ ـ سورة الاسراء ، آية : ١١٠ .

٥٩ ـ سورة الزخرف ، آية : ٤٥ .

٦٠ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠٦/١ .

٦١ ـ أخرجه ابن جرير برقم ١٥٠ ، فى تفسير البسملة ١٣٤/١ .

٦٢ ـ انظر جامع البيان ١٣٤/١ .

٦٣ ـ انظر الكشاف ٧/١، الجامع لأحكام القرآن ١٠٦/١ ، البحر المحيط ١٥/١ ، فتح القدير ٨/١ .

٦٤ ـ سورة التوبة ، آية : ١٢٨ .

٦٥ ـ سورة الانسان ، آية : ٢ .

٦٦ ـ سورة التكوير ، آية : ١٩ ، انظر جامع البيان ١٢٣/١ ، الجامع لاحكام القرآن ١٠٦/١ ، وتفسير ابن كثير ٢٢/١ .

٦٧ ـ ومما يؤسف له أن يكون فى بلاد المسلمين اليوم من يقول : بآسم الشعب وباسم الحرّية !

٦٨ ـ جامع البيان بتصرف ١١٤/١ ـ ١١٥ .

٦٩ ـ انظر أحكام القرآن للجصاص ١٨/١ بتصرف .

٧٠ـ انظر تفسير المراغى ٢٨/١ .

٧١ـ لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع) وفى رواية : بالحمد لله ، وفى رواية : بحمد الله ، وفى رواية : بالحمد ، وفى رواية : كل كلام لا يبدأ بيه بالحمد لله فهو أجذم . رواه أبو داؤد وغيره ، وحسنه ابن الصلاح وغيره أى ذكر أنه حسن ،

قال الرملى فى نهاية المحتاج : فان قيل : نرى كثيرا من الأمور يبدأ فيها باسم الله ولاتتم وكثيرا بعكس ذلك ، قلنا : ليس المراد التمام الحسىّ ، ولذا قال بعضهم : المراد من كونه ناقصا أن لايكون معتبراً فى الشرع ، ألا ترى أن الأمر الذى أبتدئ فيه بغير اسم الله غير معتبر شرعا وان كان تاما حسّا ؟!انظر نهاية المحتاج للامام محمد بن أبى العباس الرملى ٢١/١ .

٧٢ـ أخرجه أبو داؤد من حديث أبى مالك الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ ، وانظر الأذكار ص ٢٦ .

٧٣ـ أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب برقم ٣٤٨٦ وأخرجه ابوداؤد والنسائى وابن حبان وابن السنى كما فى التحفة الأحوذى ٣٨٤/٩ .

٧٤ـ أخرجه ابن السّنى ، وذكره النووى فى الاذكار ص ٢٥ .

٧٥ـ متفق عليه من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ ، وزيادة بسم الله فى السنن .

٧٦ـ انظر الأذكار ص ٢٨ ، والخبث جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة ، يريد ذكر ان الشياطين واناثهم ، وانظر فتح البارى ٢٤٣/١ .

٧٧ـ المصدر السابق ص ٢٩ .

٧٨ـ انظر المجموع شرح المهذب ٣٤٥/١ .

٧٩ـ ففى الحديث الذى رواه مسلم وغيره يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (اذا دخل احدكم المسجد فليسلّم على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، واذا خرج فليقل : اللهم انى أسألك من فضلك) .

٨٠ ـ انظر الأذكار للنووى ص ٣٢ .

٨١ ـ متفق عليه ، أخرجه البخارى فى كتاب الأطعمة ـ باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٧٠/٨٨ ، ومسلم برقم ٢٠٢٢ فى كتاب الأشربة ـ باب آداب الطعام ٢/١٥٩٩ .

٨٢ ـ أنظر الأذكار ص ٢١٤ .

٨٣ ـ انظر الأذكار ص ٢١٥ .

٨٤ ـ متفق عليه من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أخرجه البخارى برقم ١٤١ ـ كتاب الوضوء ١/٢٤٢ .

٨٥ ـ سورة الزخرف الآيتين : ١٣ و ١٤ ، و أول الآية الأولى : ,,لتستوُا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر ....،، الآية .

٨٦ ـ أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح برقم ٣٥١١ و أخرجه أحمد و أبو داؤد والنسائى وابن حبان والحاكم كما فى التحفة ٩/٤٠٩ .

٨٧ ـ أنظر ما جمعه النووى فى الأذكار الواردة عند النوم ص ٧٨ ، والبخارى برقم ٧٣٩٤ و ٧٣٩٥ فى كتاب التوحيد كما فى الفتح ١٣/٣٧٨ ـ ٣٧٩ و رقم ٣٦٢٠ فى كتاب الدعوات ١١/١٢٦ ومسلم برقم ٢٧١٤ فى كتاب الذكر ٤/٢٠٨٤ ـ ٢٠٨٥ .

٨٩ ـ ويستحب الدعاء للميت كما نص عليه الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ وقد ذكره النووى فى الأذكار تحت باب : ما يقوله من يدخل الميت فى قبره ص ٧٤ . وانظر تحفة الأحوذى ٤/١٤٦ ـ ١٤٧ .

٩٠ ـ أخرجه أبو داؤد ، وذكره النووى فى الاذكار ص ٢٩١ .

٩١ ـ انظر ما علق به الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ـ كتاب الوضوء ـ ١/٢٤٢ ، والبدر العينى فى عمدة القارى ١/٢٦٦ .

٩٢ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن ١/٩٧ .

٩٣ ـ انظر المجموع شرح المهذب ـ كتاب الطهارة ـ باب : صفة الوضوء ١/٣٤٤ .

٩٤ ـ سورة النمل ، آية : ٣٠ .

٩٥ ـ انظر المنهل العذب المورد فى شرح سنن أبى داؤد للامام السبكى ٥/٢٠٩ .

٩٦ ـ وله قول : انها ليست من أوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة .

٩٧ ـ أخرج الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير أنه قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، الآية السابعة ، قال سعيد ابن جبير : وقرأها علىّ ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة ، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : فأخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم. قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ـ فضائل القرآن ١/٥٥٠ ـ ٥٥١ .

٩٨ ـ انظر فى كتب التفسير : معالم التنزيل ١/١٩، أنوار التنزيل ١/٥، ارشاد العقل السليم ١/٨ ـ ٩ .

٩٩ ـ أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن ـ باب : مدّ القرأءة ٦/٢٤١ .

١٠٠ ـ أخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ـ كتاب الصلاة ـ ١/٢٣٢ .

١٠١ ـ أخرجه أبو داؤد فى كتاب الصلاة ـ باب : الجهر بها ـ أى بالبسملة كما فى المنهل العذب المورود ٥/٢٠٨ ، والحاكم وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ـ كتاب الصلاة ـ ١/٢٣١ .

١٠٢ ـ أخرجه مسلم برقم ٤٠٠ فى كتاب الصلاة ـ باب : حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة سوى برأة ٣٠٠/١ . وتمام الحديث : هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم فأقول : ربّ انه من أمّتى ، فيقول : ما تدرى ما أحدثت بعدك ، وفى رواية : ما أحدث بعدك) . وفى هذا الحوض المبارك يقول صاحب قصيدة بدء الأمالى :

وحوض المصطفى حقـا سنسقـى
شـرابـا منـه معـدوم المثـال
بكيـزان تضـاهـى النجـم عـدّا
بـذا صحّ الحديث فلا نبـالـى
وان يشـرب تقـىّ منـه كأسـا
فـلا يخشـى الظمـا أبـدا بحـال

اللهم فآسقنا منه ـ بفضلك ـ شربة هنيئة لانظمأ بعدها أبدا آمين .

١٠٣ ـ انظر السنن الكبرى : كتاب الصلاة ـ باب : الدليل على أنّ مـا جمعته مصاحف الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كلّه قرآن ، وبسم الله الرحمن الرحيم فى فواتح السور سوى براءة من جملته ٤٠/٢ . والعبارة المذكورة نقلناها من لباب التأويل ١٩/١ .

١٠٤ ـ متفق عليه ، أخرجه البخارى برقم ٧٤٣ فى كتاب الأذان ـ باب مايقول بعد التكبير ٢٢٦/٢ ـ ٢٢٧ ، ومسلم برقم ٣٩٩ فى كتاب الصلاة ـ باب : حجة من قال : لايجهر بالبسملة ٢٩٩/١ .

١٠٥ ـ أخرجه مسلم ـ مطوّلا ـ برقم ٤٩٨ فى كتاب الصلاة ـ باب : مايجمع صفة الصلاة ٣٥٧/١ .

١٠٦ ـ أخرجه مسلم برقم ٣٩٥ وبزيادة فى أوله ـ فى كتاب الصلاة ـ باب ـ وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة ٢٩٦/١ .

١٠٧ ـ سورة العلق ، آية : ١ .

١٠٨ ـ انظر لباب التأويل ١٨/١ .

١٠٩ ـ انظر أحكام القرآن للجصاص ١١/١ ، والمصدر السابق .

١١٠ ـ انظر مدارك التنزيل ٦/١ .

١١١ ـ انظر أحكام القرآن للجصاص ١٠/١ ، ولابن العربى ٢/١ ، وللقرطبى ٩٣/١ .

١١٢ ـ أخرجه أبو داؤد باسناد صحيح ـ كما فى ابن كثير ، ١٧/١ ، وأخرجه الحاكم وتقدم تخريجه فى هامش رقم ١٠١ .

١١٣ ـ أخرجه أحمد ، وغيره وانظر تخريجه والحكم عليه فى ص ٢٩ ـ ٣١ من هذا البحث ، وهامش رقم ١٢٤ .

١١٤ ـ انظر أحكام القرآن للجصاص ١٠/١ .

١١٥ ـ انظر نيل الأوطار ٢١٨/٢ ، ط . دار الجيل ـ بيروت وانظر أحكام القرآن لابن العربى ٣/١ .

١١٦ ـ متفق عليه من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أخرجه البخارى ـ واللفظ له ـ برقم ٧٨٢ فى كتاب الأذان باب جهر المأموم بالتأمين ٢٦٦/٢ ، ومسلم برقم ٤١٠ فى كتاب الصلاة ـ باب : التسميع والتحميد والتأمين ٣٠٧/١ .

١١٧ ـ روح المعانى ٤٣/١ .

١١٨ ـ انظر لباب التأويل ٢٠/١ ، وابن كثير ١٨/١ وفيه : أنّ الامام مالك لايقرأ البسملة بالكلية

لاجهرا ولا سرا ، وقال القرطبى : وجملة مذهب مالک وأصحابه : أنها ليست عندهم آية من فاتحة الكتاب ولا غيرها، ولايقرأ بها المصلى فى المكتوبة ولا فى غيرها سرا ولا جهرا ، ويجوز أن يقرأها فى النوافل ، هذا هو المشهور من مذهبه عند أصحابه . وعنه رواية أخرى أنها تقرأ أول السور فى النوافل ، ولا تقرأ أول أمّ القرآن ، وروى عنه ابن نافع ابتدأ القراءة بها فى الصلاة الفرض والنفل ولا تترک بحال ٩٦/١ .

١١٩ ـ انظر تفسير ابن كثير ١٨/١ .

١٢٠ ـ سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .

١٢١ ـ المثانى : ما ولى المئين من السور التى هى دون المائة ، كأن المئين مباد وهذه ثوان . انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٥ ، ومقدمة تفسير الطبرى ١٠٣/١ ، والاتقان ٦٣/١ .

١٢٢ ـ المئون : ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيئا ، أو تنقص منها شيئا يسيرا .

انظر مجاز القرآن لابى عبيدة ٦/١ ، والمراجع السابقة .

١٢٣ ـ السبع الطوال : سميت بذلک لطولها على سائر سور القرآن الكريم ، وآخرها براءة . انظر المراجع السابقة .

وأما المفصّل : فمايلى المثانى من قصار السور ، سميت مفصّلا لقصرها وكثرة الفصول فيها بسطر : ,, بسم الله الرحمن الرحيم ،، . انظر المراجع المتقدمة .

١٢٤ ـ اخرجه الامام أحمد ٥٧/١ ، وفى المحقق برقم ٣٩٩ ، ٣٢٩/١ ، ٣٢٩/١ ـ ٣٣١ ، والترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ويزيد الفارسى قد روى عن ابن عباس غير حديث ، ويقال هو يزيد بن هرمز ويزيد الرقاشى هو يزيد بن ابان الرقاشى ولم يدرک ابن عباس ، انما روى عن انس ابن مالک ، وكلاهما من اهل البصرة ، ويزيد الفارسى اقدم من يزيد الرقاشى ٠١ هـ رقم ٣٠٨٦ كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة التوبة ٢٧٢/٥ ـ ٢٧٣ ، واخرجه ابو داؤد برقم ٧٨٦ فى كتاب الصلاة ـ باب من جهر بها ـ اى بالبسملة ٢٠٨/١ ـ ٢٠٩ ، وابن ابى داؤد فى المصاحف ص ٣١ ـ ٣٢ ، وابن جرير فى التفسير برقم ١٣١ ، ١٠٢/١ ، والنحاس فى ناسخه فى تفسير سورة براءة ص ١٥٨ ، وفيه ـ بعد قوله : فظننت انها منها ـ زيادة : وكانتا تدعيان فى زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرينتين ، فلذلک جعلتهما فى السبع الطوال ٠١هـ ، واخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه،ووافقه الذهبى ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة التوبة ٣٣٠/٢ ، والبيهقى فى سننه ـ كتاب الصلاة ـ باب الدليل على ان ما جمعته مصاحف الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كله قرآن ٤٢/٢ .

وهذا حديث ضعيف جدا ، كما ذكرناه فى مناقشة هذا القول .

١٢٥ ـ انظر مسند الامام أحمد شرح الاستاذ أحمد شاكر ٣٢٩/١ ـ ٣٣١ .

١٢٦ ـ انظر التفسير الكبير ٢١٦/١٥ ، وغرائب القرآن ٣٧/١٠ .

١٢٧ ـ انظر تفسير السراج المنير ٥٨٧/١ .

١٢٨ ـ انظر رسالة فى ابتداء سورة التوبة بدون بسملة لعلى القارئ ل ٦٧ أ ، الكشاف ٢٢/١ ، التفسير الكبير ٢١٦/٥ ، القرطبى ٦٢/٨ ، تفسير النسفى ٦٣٢/١ ، لباب التأويل ٤٦/٣ ، البرهان فى علوم القرآن ٢٦٣/١ ، التسهيل لعلوم التنزيل ١٢٧/٢ ، روح المعانى ٤١/١٠ ، أضواء البيان ٨٢٢/٢ .

١٢٩ ـ انظر محاسن التأويل ٨/٣٠٦٣ .

١٣٠ ـ انظر ارشاد العقل السليم ، والاسماء التى ذكرها هى : سورة براءة ، والتوبة ، والمقشقشة والبحوث ، والمنقرة ، والمبعثرة ، والمثيرة ، والحافرة ، والمخزية ، والفاضحة ، والمنكلة ، والمشردة ، والمدمدمة ، وسورة العذاب ، لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين ، واثارتها والحفر عنها ، وما يخزيهم ويشردهم ويدمدم عليهم ١٠هـ ٢/٥١٢ ، وانظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، فقد زاد على هذه الأسماء وعلّل لها ٨/٣٥٠ ـ ٣٥٥ .

١٣١ ـ انظر تفسير سورة التوبة للدكتور طنطاوى ص ١٤ ـ ١٥ ، وأولى ما قيل فى آيات التنزيل لرشيد الموصلى ٤/١١٨ .

١٣٢ ـ انظر تفسير القرآن الكريم للاستاذ محمود شلتوت ص ٦٠٣ ـ ٦٠٤ .

١٣٣ ـ انظر القرطبى ٨/٦٢ ، الاتقان ١/٦٥ ، فتح القدير ٢/٣٣٢ ، اضواء البيان ٢/٣٨١ .

١٣٤ ـ تفسير سورة التوبة ص ١٣ .

١٣٥ ـ اخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، التفسير ـ تفسير سورة التوبة ٢/٣٣٠ ـ ٣٣١ .

١٣٦ ـ المصدر السابق ٢/٣٣٠ .

١٣٧ ـ سورة النساء ، آية ٩٤ .

١٣٨ ـ انظر تفسير ابن عيينه ص ٥٢٧ ، التفسير الكبير ١٥/٢١٦ ـ ٢١٧ ، التسهيل ٢/١٢٧ ، لباب التأويل ٣/٤٦ ، محاسن التأويل ٨/٣٠٦٢ ، اضواء البيان ٢/٣٨١ .

١٣٩ ـ انظر اضواء البيان ٢/٣٨١ .

١٤٠ ـ انظر تفسير سورة التوبة للدكتور طنطاوى ص ١٣ ، تفسير القرآن الكريم للاستاذ محمود شلتوت ص ٦٠٤ .

١٤١ ـ انظر تفسير المنار ١٠/٧٤ .

١٤٢ ـ انظر الجامع لاحكام القرآن ٨/٦٣ ، البرهان فى علوم القرآن ١/٢٦٣ ، الاتقان ١/٦٥ ، السراج المنير ١/٥٨٦ .

١٤٣ ـ انظر التفسير الكبير ١٥/٢١٦ .

١٤٤ ـ انظر الجامع لاحكام القرآن ٨/٦٣ .

١٤٥ ـ انظر تفسير الجلالين ٢/٢٦١ ، والسراج المنير ١/٥٨٦ .

١٤٦ ـ انظر الفتوحات الالهية ٢/٢٦١ ، وهو فى هذا تابع للشيخ ابى السعود كما فى تفسيره ارشاد العقل السليم ٢/٥١٣ .

١٤٧ ـ انظر تفسير سورة التوبة ص ١٢ .

١٤٨ ـ انظر تفسير القرآن الكريم ص ٦٠٤، وانظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ٤/٢٩٦ ، والاتقان ١/٦٠ ـ ٦٣ .

١٤٩ ـ انظر تفسير زاد المسير ٣/٣٩٠ ، التفسير الكبير ١٥/٣١٦ ، الجامع لأحكام القرآن ٨/٦٢ ، الاتقان ١/٦٥، فتح القدير ٢/٣٣١ ، تفسير المنار ١٠/٧٤ ، اضواء البيان ٢/٣٨١

١٥٠ ـ وممن حكى الاجماع على ذلك : ابو الحسن بن غلبون ، وابو القاسم بن الفحام ، ومكى وغيرهم، وقال المهدوى : وأما براءة فالقراء مجمعون على ترك الفصل بينهما وبين الانفال

بالبسملة ، قال ابن الجزرى : وهو الذى لايوجد نص بخلافه .
انظر النشر فى القراءات العشر ٢٦٤/١ ، وانظر رسالة فى ابتداء سورة التوبة بدون بسملة ل ٦٧ أ .

١٥١ ـ انظر المصدرين السابقين ، وتعقبه ابن الجزرى فقال : قلت : لقائل ان يقول : له ذلك ايضا فى البسملة اولها انه خرق للاجماع ومخالف للنصوص ، ولا تصادم النصوص بالآراء ، وما رواه الاهوازى فى كتابه الايضاح عن ابى بكر من البسملة اولها لايصح ، والصحيح عند الأئمة اولى بالاتباع ، ونعوذ بالله من شر الابتداع ٠١ هـ النشر ٢٦٥/١ .

١٥٢ ـ سورة التوبة ، آية : ٣٦ ، وسقط فى الاصل الواو من قوله تعالى : ,, وقاتلوا ،، .

١٥٣ ـ جمال القراء ل ٧٧ ب ، وتعقبه ابن الجزرى فقال : قلت : لقائل ان يقول : يمنع بظاهر النصوص . النشر ٢٦٤/١ .

١٥٤ ـ انظر النشر ٢٦٦/١ .

١٥٥ ـ انظر حاشية الشهاب على البيضاوى ٢٩٦/٤ .

١٥٦ ـ انظر النشر ٢٦٦/١ .